



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة تكريت / كلية التربية
للعلوم الانسانية

قسم التاريخ / دكتوراه إسلامي

المادة الدولة العباسية

((من عهد الخليفة المقتدر بالله حتى دخول البويهيين))

أ.د حنان عبد الرحمن طه

خلافة المقتدر بالله ٢٩٥ - ٣٢٠ هـ

تولى ابو الفضل جعفر بن المعتضد الخلافة بعد وفاة اخيه المكتفي سنة ٢٩٥ هـ ، وظل فيها حتى قتل سنة ٣٢٠ هـ ، وقد جرت عدة محاولات لخلعه الأولى سنة ٢٩٦ هـ ، فخلعوه وبايعوا لابن المعتز ، وقد لعب القواد والقضاة والكتاب مع الوزير العباس بن الحسن ، على خلع المقتدر ، والبيعة لابن المعتز ، وارسلوا الى ابن المعتز في ذلك ، فأجابهم على ان لا يكون فيه سفك دم ولا حرب ، فاخبروه باجتماعهم عليه ، وانه ليس لهم منازع ولا محارب وكان السبب في هذا الخلع هو صغر سن المقتدر ١٣ سنة ، وقد افشل هذه القضية اتباع المقتدر حيث نجحوا فعلاً في اعادة المقتدر الى الخلافة.

كما جرت محاولة اخرى لخلعه سنة ٣١٧ هـ وسببها هو الخلاف مع مؤنس ، وبايعوا اخاه القاهر بالله محمد بن المعتضد ، فبقى يومين ، ثم اعيد المقتدر بعد فتنة كادت ان تحدث.

ان اهم قضية يمكن ان نتناولها خلال فترة حكم المقتدر هي مشكلة توفير اموال الجند ، فقد عرف عن المقتدر ، انه اتلف الاموال التي جمعها ابوه واخوه من قبل ولكي نقدر اهمية هذا الوضع ، ومسألة توفير اموال الجند ، نجد كثرة عزل وتولية الوزراء خلال فترة حكمه.. وهم ابو علي محمد بن عبدالله الخاقاني ، علي بن الفرات ، علي بن عيسى ، ابن الفرات ، حامد بن العباس ، ابن الفرات ، ابو القاسم عبدالله بن محمد بن عبيد الله الخاقاني ، ابا العباس الخصيبي ، علي بن عيسى ، ابن مقله ، سليمان بن الحسن بن مخلد.

وقد عزل كل هؤلاء وتبدلوا بسبب الأموال ، حيث كان الجيش بفرقة المختلفة من الفرسان والرجال ينتهزون هذه الفرص ، من اجل اثاره المشاكل والمطالبات بأرزاق اضافية ، او طلب زيادة الرواتب. كان واجب الوزير ينحصر في توفير الاموال ، وواجه صرفها ، لكن سوء الاحوال دفع في بعض الاحيان الى تولي وزراء ضعاف ، وعدم معرفتهم كيفية الادارة ، فكان

هذا عامل مساعداً في حدوث ازمات كثيرة . يضاف الى ذلك ظهور ظاهرة الالتزام للوظائف، فلا تعطى الوظائف للأشخاص الأكفاء ، بل تعطى لمن يدفع أكثر ، ولربما تولى الوظيفة أكثر من شخص، وتكون التولية للعمال من الوزراء ، حيث يتلاعبون بها بشكل كبير ، وكان عزل الوزراء والعمال يرافقه مصادرات نظراً لاستئثار بعضهم بالاموال ، كما ويلاحظ كثرة تدخل الحريم في امور الدولة ، فكان لامه (شغب) دور كبير في تمشية امور الدولة وعزل الوزراء وكذلك وصيفاتها وخصوصاً ام موسى ، وكان المقتدر لا يرد لها طلباً ، كل هذه العوامل ، كان لها اثر سيء على الادارة .

وعندما استفحلت الامور وكثر شغب الجند وتدخل قادة الترك اراد المقتدر ان يستغل الوضع، ويضرب فرقه بعضها بعضاً . ويحدثنا ابن الأثير عن هذا في حوادث سنة ٣١٨ هـ فيقول : ((في هذه السنة في المحرم ، هلك الرجال المصافية، واخرجوا من بغداد بعدما عظم شرهم وقوي امرهم ... وكثر شعبهم ومطالبتهم ، وادخلوا في الارزاق اولادهم واهليهم، ومعارفهم، واثبتوا اسماءهم ، فصار لهم في الشهر مائة الف وثلاثون الف دينار))، واتفق ان شغب الفرسان في طلب ارزاقهم ، فقليل لهم ، ان بيت المال فارغ. وقد انصرفت الاموال الى الرجال، فثار بهم الفرسان، فاقتتلوا، فقتل من الفرسان جماعة ، واحتج المقتدر بقتلهم على الرجال ، ونودي فيهم بالخروج عن بغداد، ومن يتخلف يعرض نفسه للعقوبة، وهدمت دور زعمائهم وقبضت املاكهم.

وفي سنة ٣٢٠ هـ هاج الجيش على مؤنس وقالوا له : ((اذهب بنا الى الخليفة، فان انصفنا واجرى ارزاقنا والا قاتلناه، فتوجه مؤنس الى بغداد، وقد اراد المقتدر ان ينحدر الى واسط، ثم يكاتب العساكر ويترك مؤنس في بغداد، الا ان مستشارية اشاروا عليه بعكس ذلك، ومحاربة مؤنس ، وكانت النتيجة قتل الخليفة المقتدر سنة ٣٢٠ هـ))

الاصلاحات الادارية- :

من بين الاداريين الأكفاء كان علي بن عيسى الذي استوزر بعد الخاقاني سنة ٣٠٠ هـ فامر برد المظالم وانصف المظلومين ، لما لازم العمل والنظر في الأمور، واطلق من المكوس شيئاً كثيراً بمكة

وفارس، واغلق المفسدات. كما اسقط بعض الزيادات في الرواتب لبعض الجند . بعد ان اجرى الموازنة ، فوجد المصروف اكثر من الوارد.

كما أمر بعمارة المساجد وتبييضها، وفرشها بالحصر واشعال الاضوية فيها . واجرى للعاملين فيها من الائمة والقراء والمؤذنين ارزاقاً كما اسقط مازيد على الناس في الخراج.

واهتم بالمستشفيات ، وامر باصلاحها وترميمها، وعمل ما يحتاج اليه المرضى من الادوية ، وقرر (عين) فيها فضلاء الاطباء ، وفي سنة ٣٠٦ هـ كانت هنالك اربع مستشفيات في مدينة بغداد، ولم تعد تكفي المرضى فامر المقتدر ببناء البيمارستان، وسمي باسمه البيمارستان المقتدري ، واجرى عليه النفقات الكثيرة واوقف عليه الوقوف.

العلاقات مع الدولة البيزنطية

استمرت العلاقات الحربية، وكثرت تجاوزات الدولة البيزنطية التي كانت تستغل الفرص والمناسبات المختلفة التي تكون فيها الدولة الاسلامية منشغلة في هذه الفترة . كانت منشغلة بتحركات القرامطة في بلاد الشام. وقد كانت هنالك حملات بيزنطية ، ففي سنة ٣٠٣ هـ هجمت الدولة البيزنطية على الثغور الجزرية ، وقصدوا حصن منصور ، وسبوا من فيه ، وجرى على الناس امر عظيم جراء هذا الفعل .

وفي سنة ٣١٣ هـ ارسل امبراطور الروم رسالة الى اهل الثغور يدعوهم فيها الى الدخول في طاعته.

وفي سنة ٣١٤ هـ توجهت الروم الى سميساط، ثم توجهوا في السنة التالية الى طرسوس، واشتبكوا مع الجيش الاسلامي الذي خرج لملاقاتهم ، وانتصروا على المسلمين واسروا منهم اربع مائة رجل قتلوا صبراً، وهذه الحادثة تذكرنا دائماً بمعاملة الاسرى لدى البيزنطيين، حيث كانوا يمثلون بهم ويقتلونهم ، وهم أسرى . وفي المقابل نجد معاملة الاسير حسبما نصت عليه الشريعة الاسلامية.

وفي نفسه السنة ٣١٥ هـ توجهت حملة بيزنطية اخرى باتجاه مدينة ديبيل وتمكنوا من دخول المدينة ، حيث نقبوا الاسوار ، لكن أهلها استطاعوا اخراج الروم عنها.

كما توجهت حملة اخرى سنة ٣١٦ هـ الى مدينة خلاط، فصالحهم اهلها ورحل القائد البيزنطي عنها بعد ان اخرج المنبر من المسجد الجامع، وفعل ببندليس كذلك وخافه اهل « أرزن » وغيرهم ، ففارقوا بلادهم وانحدر اعيانهم إلى بغداد ، واستغاثوا الى الخليفة.

وحاول الروم البيزنطيون اتباع الحيلة والخداع من اجل الوصول الى مدينة ملطية ، فارسلوا سبعمائة رجل من الروم والأرمن الى ملطية ، ومعهم الفؤوس والمعاول ، وظهروا انهم يتكسبون بالعمل ثم ظهر ان مليحاً الارميني ، صاحب الدروب ، وضعهم ليكونوا بها ، فاذا حصرها سلموها اليه ، فعلم بهم أهل ملطية . فقتلوه . وأخذوا ما معهم.

وفي سنة ٣١٧ هـ توجه الدمستق الى الثغور فخرج للقائه مفلحاً فانهمز الدمستق امامه وتبعه مفلح الى بلاد الروم .

أما عن تبادل الأسرى فقد جرت ثلاث مرات الاولى في سنة ٢٩٥ هـ حيث تبودل فيها بـ ثلاثة آلاف نفس من الرجال والنساء . اما الفداء الثاني فكان سنة ٣٠٥ هـ حيث وصل في محرم رسولان من ملك الروم الى المقتدر يطلبان المهادنة والفداء ، فاکرما اكراماً كثيراً. وادخلا على الوزير وهو في الابهة وقد صف الاجناد بالسلاح والزينة التامة . واديا الرسالة اليه ، ثم انهما ادخلا على المقتدر ، وقد جلس لهما ، واصطف الأجداد في اكمل ابهة . بالسلاح والزينة التامة . واديا الرسالة فاجابهما المقتدر الى ما طلب ملك الروم من من الجنود، واطلق لهم وهو الفداء ، وسير مؤنس الخادم ليحضر الفداء ارزاق واسعة وانفذ معه جمعاً . مائة الف وعشرين الف دينار لفداء اسارى المسلمين وسم .. وسير معه مؤنس والرسول ، وكان الفداء على يد مؤنس « وكان الفداء الثالث سنة ٣١٣ هـ اذ وصل رسول من ملك الروم بهدايا كثيرة ، ومعه ابو عمر بن عبد الباقي ، فطلبا الهدنة ، وتقرير الفداء .

عصر امرة الامراء ٣٢٠ - ٣٣٤ هـ

تولى الخلافة في هذه الفترة ثلاثة خلفاء هم القاهر بالله ابو منصور محمد بن المعتضد (٣٢٠ - ٣٢٢ هـ) ، ثم خلع وسملت عيناه ، وهو اول خليفة عباسي يسمل ، لئلا يكون له اي امل في العودة الى الخلافة مرة اخرى . وبويع بعد خلع لابي العباس احمد بن المقتدر ، ولقب بالراضي بالله ٢٢٢ - ٣٣٩ هـ) وكان محبوباً ، فاخرجه الاتراك ، وبايعوه ثم تولى ابراهيم ابن المقتدر الخلافة (٣٢٩ - ٣٣٣ هـ) ولقب بالمتقي الله . ثم خلع وسمله توزون في هيت . وبويع بعد خلع لابي القاسم عبدالله بن المكتفي بالله ولقب بالمستكفي بالله (٣٣٣ - ٣٣٤ هـ) وظل في الخلافة حتى دخل البويهيون بغداد ، حيث خلعه ، وبايعوا للمطيع الله أبي القاسم الفضل بن المقتدر .

تميزت هذه الفترة بالاضطرابات ، وعدم الهدوء والاستقرار ، والسبب الرئيسي هو عدم توفر الاموال لدفع رواتب الجند ، وشغب الجند لم يقتصر على الخلفاء بل تعداه إلى الوزراء وضد قادتهم بالذات اذ كانوا يشعرون انهم قد استأثروا بالاموال دونهم .

ونتيجة لهذا الوضع الاقتصادي السيئ وعدم استطاعة الوزراء احداث موازنة على الاقل ، بين الواردات والمصروفات اضطر الخليفة الى البحث عن حل عله يجد مبتغاه فاستحدث منصب امير الامراء ، وقد تم الاتفاق بين الخليفة العباسي ، وبين ابن رائق ، ان والجيش . يسند اليه منصب امير الامراء ، لقاء القيام بتوفير نفقات الدولة .

وباستحداث هذا المنصب فقد منصب الوزارة أهميته ، وعلت مرتبة أمير الامراء على منصب الوزير ، حيث بطل منذ يؤمئذ أمر الوزارة ، فلم يكن الوزير بنظر في شيء ، من امر النواحي ولا الداووين ولا الاعمال ، ولا كان له غير اسم الوزارة فقط .

واصبح امير الامراء يتولى تعيين الولاة والعمال وعزلهم ، وشارك الخليفة في اخص امتيازاته ، اذ صار اسمه يذكر في خطبة الجمعة والاعياد ، والاكثر من هذا انه اخذ يتدخل في امر البيعة وولاية العهد . فقد طلب الخليفة الراضي بالله من أمير الامراء بحكم الديلمي ان يعين ابنه ولياً للعهد فرفض ذلك ، كما ان امير الامراء كان يتدخل في تعيين وزير الخليفة ، ان شاء ابقاه ، وان شاء عزله ، وقد حاول الخلفاء العباسيون التخلص من سيطرة الترك ، وامير الامراء وقادة الجيش التركي ، الا ان

محاولاتهم باءت بالفشل ، وذهبوا ضحية محاولاتهم هذه. واضرت هذه الاوضاع بمعنويات الناس وبحالتهم الاقتصادية سيما بعد أن كثرت المصادرات من امير الامراء جعفر بن شيرزاد ، الذي أكثر من مصادرات الناس في فرض ضرائب اضافية من اجل توفير امول والتجار والاغنياء في بغداد. وتفنن الجند، حتى اضطر التجار الى الرحيل عن مدينة بغداد وخلاصة القول ، فان نظام امرة الامراء، كان تجربة فاشلة ادخلها الخليفة الراضي، لم تستطع ان تنقذ الخلافة من أزمته السياسية والمالية. بل زادت في النزاع بين القادة للاستئثار بالحكم. وفي خلافة المستكفي استطاع احمد بن بويه من احتلال بغداد بعد عدة محاولات فاشلة، ودخل البويهيون محل امراء الامراء في بغداد وبدأ العصر البويهي الذي استمر من سنة ٣٣٤-٤٤٧هـ.